وراءك الحياة البهيجة الأنيسة يتزايل صخبها عنك ، وتقتحم الغابة التى يطبق عليها السكون والصمت فتحس الوحشة تغزو مشاعرك ، وقد شحب ضوء النهار من حولك ، وتزاحمت الأشجار دونك ، توشك أن تطبق عليك ، فتواصل سيرك فى الدغل المشتبك ؛ كأنك تشق بنفسك وجه الطريق ! ...

وأنت تمعن فى السير ، فيخامرك الشعور بأنك رائد يتدسس إلى قلب « غابة عذراء » ... الطريق يعلو بك ويهبط ، ويتسع أو يضيق ، ولكنه أبدا ذلك الطريق المتوحد الذى تخيم عليه الظلال ! ...

وبين الحين والحين تصادفك أودية ضئيلة ، يتوارى قرارها تحت الأعشاب النامية فى هيجة ورعونة ؛ فكأنما هذه الأودية مسايل نهر خفىّ ، يتسرب فى بطن الأرض لا تناله العيون ! ...

وعلى مد الطريق تواجهك الصخور الصم الغبر ؛ كأنها أصنام منحوتة على مثال كائنات غير بشرية ... كائنات كانت تسود تلك المجاهل فى عصر سحيق ... لا صوت هنا إلا خفق قدميك على أديم الأرض ، وإلا وقع العصا تفسح لك السبيل ، وإلا وسوسة الأفنان يناغى بعضها بعضاً فى همس ...

ولربما طوح بك الوهم فى هذه الغابة الصموت ، فتحسب أنك